

تفسير ابن كثير

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ

وقوله : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) ، وهو : بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت

الأرض ، (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) أي : استجيبا لأمرى ، وانفعلا لفعلي

طائعتين أو مكرهتين . قال الثوري ، عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسى ، عن مجاهد ،

عن ابن عباس في قوله [تعالى] (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) قال : قال الله

تعالى للسموات : أطلعي شمسي وقمري ونجمي . وقال للأرض : شققي أنهارك ، وأخرجي

ثمارك . فقالتا : (أتينا طائعين) واختاره ابن جرير - رحمه الله . (قالتا أتينا طائعين) أي :

بل نستجيب لك مطيعين بما فينا ، مما تريد خلقه من الملائكة والإنس والجن جميعا

مطيعين لك . حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية قال : وقيل : تنزيلا لهن معاملة من

يعقل بكلامهما . وقيل إن المتكلم من الأرض بذلك هو مكان الكعبة ، ومن السماء ما

يسامته منها ، والله أعلم . وقال الحسن البصري : لو أيا عليه أمره لعذبهما عذابا يجدان ألمه

. رواه ابن أبي حاتم .